المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

تجليات المكان في رواية اللوذعي للدكتور / عبد الرحيم الكردي

Manifestations of Place
In the Novel of Al-Ludha'i by Dr. Abdel Rahim Al-Kurdi

بقلم الدكتور

عيد خليفة علي محمد

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

العدد الثاني

تجليات المكان

في رواية اللوذعي للدكتور / عبد الرحيم الكردي

عيد خليفة علي محمد

قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بجرجا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني : eidkhalefa22@gmail.com

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فإن هذا البحث يتناول المكان في رواية اللوذعي وهو فضاء يحوي عناصر الخطاب السردي بوصفه المساحة التي تجسد وعي الكاتب ، والخلفية التي تحتضن الشخصيات وتقع فيها أحداث الرواية .

وقد ظهر من خلال الدراسة تنوع أنماط المكان في الرواية موضوع الدراسة، كما كان للجغرافية الثقافية للمكان تأثير في الشخصيات وتفاعلها الثقافي، وظهر ذلك من خلال البيئة المكانية والثقافات المختلفة التي عاشت فيها الشخصيات، وهذه المؤثرات لها دورها في الشخصية المحورية للرواية وهي شخصية المعري.

الكلمات المفتاحية : المكان ، اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، مكان مؤقت، مكان عبور ، الجغرافية الثقافية .

Manifestations of Place
In the Novel of Al-Ludha'i by Dr. Abdel Rahim Al-Kurdi

Eid Khalifa Ali Mohammed
Department of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Lmohsenzx4@gmail.com

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and may peace and blessings be upon our Prophet Muhammad, His faithful Messenger, and upon all his family and companions. Afterwards:

This research deals with the place in Al-Ludhai's novel, which is a space that contains the elements of narrative discourse as the space that embodies the writer's consciousness, and the background that embraces the characters and the events of the novel take place.

The study showed the diversity of the patterns of place in the novel under study, and the cultural geography of the place had an impact on the characters and their cultural interaction, and this was shown through the spatial environment and the different cultures in which the characters lived, and these influences have their role in the central character of the novel, which is the character of Al-Ma'ari.

Keywords : Location, Al-Ludhai, Abd al-Rahim Al-Kurdi, Temporary Place, Transit Place, Cultural Geography.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المنزه عن المكان ، المعبود في كل زمان ، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان ، وألهم قلبه حب الأوطان . والصلاة والسلام على معلم الإنسانية ، ومنقذ البشرية ، سيدنا محمد – ﷺ – صاحب الخلال الزكية ، وعلى آله وصحبه خير البرية ؛ أما بعد :

يعد المكان من مكونات الرواية المهمة إلى جانب الزمن والشخصية ؛ فهو الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات ، كما أن المكان قد يتحول إلى فضاء يحوي عناصر الخطاب السردي بوصفه المساحة التي تجسد وعي الكاتب ووجهة نظره من جهة، ولأنه الإطار الذي تتجسد داخله الصيغة البنائية التي يتشكل عبرها الخطاب وسير أحداثه من جهة أخرى . فالمكان ليس عنصرا فضلة في النص الروائي؛ فهو يتخذ أشكالا يصرح بها أو يشار إليها ، وهو الخلفية التي تحتضن الشخصيات وتقع فيها الأحداث ، وفي بعض الأحيان يكون المكان هو الهدف الرئيس من وجود العمل الروائي كله .

وتسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على ثقافة المكان في رواية اللوذعي لعبد الرحيم الكردي ، وأثر المكان في شخصيات الرواية . وهذه الرواية قدمت ملحمة سردية لشخصية ملهمة من شخصيات الأدب العربي ، وهي شخصية المعري . وقد تنوعت أنماط الأماكن في الرواية موضوع الدراسة فشملت أماكن الانتقال والإقامة، كما برز تأثير هذه الأماكن في الشخصيات من خلال الأدوار والوظائف التي لعبتها الشخصيات في الأماكن المختلفة في الرواية .

وقد أفادت الدراسة من بعض الدراسات السابقة للمكان الروائي، ومن هذه الدراسات النقدية المهمة : جماليات المكان في الرواية العربية ، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م. وجماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،

ط٢ ، ١٩٩٢م . والرواية والمكان ، ياسين النصير ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، العدد ١٩٥ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العراق، ١٩٨٦م. وأهم مكونات الفضاء المكاني في الخطاب الروائي العربي المعاصر، محمد عبدالرحمن يونس، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد ٥٣٨ ، شباط ٢٠١٦م .

وأما عن منهج البحث ؛ فقد اعتمدت الدراسة المنهج (الوصفي التحليلي) الذي يعنى بالوصف والرصد والتحليل والنقد وانتقاء واختيار النماذج ، والوقوف عند المؤثرات النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، كما أفادت الدراسة من المنهج (الفني) في دراسة أثر المكان في الشخصيات الروائية .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ، فالمقدمة اشتملت على منهج البحث والدراسات السابقة وهيكل البحث . التمهيد وفيه محوران : الأول : مدخل إلى المكان الروائي . والثاني : عبد الرحيم الكردي في سطور . المبحث الأول : أماكن الإقامة . المبحث الثاني : أماكن الانتقال . المبحث الثالث : أثر المكان في الشخصية الروائية . ثم الخاتمة وفيها بعض النتائج البارزة التي انتهت إليها الدراسة .

وختاما ؛ أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يهدينا طريق الحق والصواب ، وأن يلهمنا الرشاد والسداد ، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى ؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

التمهيد

أولا : مدخل إلى المكان الروائي :

يعد المكان من مكونات الرواية المهمة إلى جانب الزمن والشخصية ؛ فهو الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات ، كما أن المكان قد يتحول إلى فضاء يحوي عناصر الخطاب السردي بوصفه المساحة التي تجسد وعي الكاتب ووجهة نظره من جهة ، ولأنه الإطار الذي تتجسد داخله الصيغة البنائية التي يتشكل عبرها الخطاب وسير أحداثه من جهة أخرى . فالمكان ليس عنصرا فضلة في النص الروائي ؛ فهو يتخذ أشكالا يصرح بها أو يشار إليها ، وهو الخلفية التي تحتضن الشخصيات وتقع فيها الأحداث ، وفي بعض الأحيان يكون المكان هو الهدف الرئيس من وجود العمل الروائي كله .

وحظي المكان الروائي باهتمام الدارسين ، فبحثوا في مفهومه ودلالاته ، كما بحثوا في أنواعه وأثره في الإنسان . وقد عرفوا المكان الفني بأنه " المكان الذي يمكننا الإمساك به ، والذي يمكن الدفاع عنه ضد القوى المعادية ، وهذا المكان الذي ينجذب نحو الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي ، بل بكل ما في الخيال من تحيز" (١) .

كما يشير المكان إلى حيز ما يحيط بالإنسان ويطلق عليه اسما معينا ، ويتطلب حتما صفات ومعالم محدودة ، غير أنه لا يراد بكلمة المكان الفني في الرواية تلك البقعة الجغرافية " وإنما الدلالة الواسعة للمكان وهي تشمل البيئة بأرضها وأحداثها وسكانها ، وهمومها وتطلعاتها ، وتقاليدها وقيمها ، فالمكان

---

(١) جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٢م ، ص ٣١ .

الروائي كيان زاخر بالحياة والحركة ، يؤثر ويتأثر ويتفاعل مع الشخصيات وأفكارها " [١] .

إن ثمة ارتباط بين المكان والشخصية الروائية ؛ فكما نجد اتصالا بين الإنسان والعالم الحقيقي نجد كذلك علاقة بين الشخصية والمكان الروائي ، فالشخصية مكون فني ينتمي إلى بيئة مكانية يتحرك فيها ، وينتقل منها وإليها . ويستطيع المكان الروائي أن يعبر عن آلام الشخصيات وآمالها ؛ فالشخصية المقيمة في مكان واسع ليست مثل الشخصية المقيمة في مكان ضيق ، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ، ومن جانب آخر تفسر طبيعة المكان حياة الشخصية التي تقيم في المكان ذاته . كما يمكن للقارئ أن يعرف الحال النفسية للشخصية من خلال تواجدها في المكان الذي يبرز شعور الشخصية المقيمة فيه إقامة اختيارية أو إجبارية .

كما أن المكان الروائي يساعدنا على فهم الشخصية القصصية ، يقول أحد النقاد العرب : " إن الفضاء المكاني بامتداداته ومكوناته يساعدنا على فهم الشخوص التي تقطنه ، ووضعها الاجتماعي ، وتكوينها السياسي والفكري والإيديولوجيا المعرفية التي تتبناها ، وبالتالي يمكننا من أن نفهم مجمل الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية لمجتمع من المجتمعات ، أو مدينة من المدن ، فالفضاء المكاني لا يتشكل إلا عبر رؤية ما ، ويمكن القول بأن الحديث عن المكان هو حديث محور عن رؤية ذلك المكان وزاوية النظر التي يتخذها الراوي عند مباشرته

---

(١) رؤية المكان في روايات يوسف السباعي (دراسة فنية تطبيقية) ، أطروحة ماجستير ، للباحث : رضا السيد العشماوي محمد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠١٠م ، ص ١٤ .

له . فالرؤية التي ستقودنا نحو معرفة المكان وتملكه من حيث هو صورة تنعكس في ذهن الراوي ويدركها وعيه قبل أن يعرضها علينا في خطابه "[1] .

هذا ، ويمكن توزيع التقاطبات المكانية في النصوص الروائية من خلال حركة الشخصيات والزمن والأحداث التي تزخر بها الرواية ؛ مما يعني تمفصل المكان فيها بين لحظات المكوث والاستقرار ، ولحظات التنقل والاستنفار . وفي ضوء ذلك تقسم الأماكن الروائية إلى أماكن إقامة اختيارية مثل البيوت أو جبرية مثل السجن ، وأماكن انتقال عامة مثل الشوارع أو خاصة مثل المقاهي والفنادق .

ثانيا : عبد الرحيم الكردي في سطور :

هو عبد الرحيم محمد عبد الرحيم الكردي ، ولد في قرية أولاد يحيى بمركز دار السلام بمحافظة سوهاج في الخامس عشر من مارس سنة ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين ، تعلم في معاهد الأزهر الشريف ، وتخرج في كلية اللغة العربية بالقاهرة بتقدير جيد جدا سنة ١٩٧٤م ، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بتقدير جيد جدا سنة ١٩٨٠م ثم دكتوراه في النقد والأدب العربي الحديث من كلية اللغة العربية بمرتبة الشرف الأولى والتوصية بطباعة الرسالة على نفقة الجامعة سنة ١٩٨٤م .

عمل الكردي معيدا بجامعة قناة السويس ثم مدرسا مساعدا ، ثم مدرسا ، ثم ترقى إلى درجة أستاذ مساعد ، ثم أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية التربية بالسويس ، ثم نقل إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قناة السويس . كما عمل الكردي عميدا لكلية التربية بالإسماعيلية جامعة قناة السويس ، ثم لكلية الآداب بجامعة قناة السويس .

---

(١) أهم مكونات الفضاء المكاني في الخطاب الروائي العربي المعاصر ، محمد عبدالرحمن يونس ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، العدد ٥٣٨ ، شباط ٢٠١٦م ، ص ٣٩ .

المؤلفات العلمية المنشورة : من مؤلفات الكردي : دراسات في الرواية العربية ، والأدب بين المعقول واللا معقول عند زكي نجيب محمود ، والشخصية المصرية في أدب يوسف إدريس . والسرد في الرواية المعاصرة . والراوي والنص القصصي . والبنية السردية للقصة القصيرة ، والسرد ومناهج النقد . وفي النقد العربي القديم ، قراءة النص : مقدمة تاريخية ، وشعرية السرد عند طه وادي، وهذا الكتاب مجموعة مقالات بأقلام نخبة من النقاد) . ونقد المنهج في الدراسات الأدبية ، والفكر النقدي عند العرب [١] .

ومن مشاركاته العلمية : المشاركة ببحث بعنوان (الأنا والآخر في رواية خارطة الحب لأهداف سويف) في المؤتمر الذي عقد في رحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق بعنوان ، الأنا والآخر في الأدب العربي ، سنة ٢٠٠٥م . والمشاركة ببحث بعنوان (القراءة التفكيكية للنص) في المؤتمر العلمي الأول الذي عقد في كلية الآداب جامعة القاهرة عن (مناهج النقد الأدبيفي مائة عام) سنة ٢٠٠٧م [٢] .

توفي الدكتور عبد الرحيم الكردي في الثاني عشر من شهر فبراير سنة ألفين وثلاثة وعشرين ميلادية ، بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والأدبي .

(١) ينظر : رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٩م ، ص ٢٣٣ .

(٢) ينظر : رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٣٥ .

المبحث الأول : أماكن الإقامة

أماكن الإقامة هي الأماكن التي تقيم فيها الشخصيات طوعا أو كرها ، وتعرف فيها الشخصيات بالثبات والسكون " وتنقسم هذه الأماكن إلى أماكن إقامة اختيارية مثل البيت ، وأماكن إقامة إجبارية مثل السجن والزنزانة والمعتقل والثكنة العسكرية . كما يمكن توزيع أماكن الإقامة الاختيارية إلى ثنائيات ضدية مثل البيت المضاء والمظلم، والقديم والجديد، والبيوت الراقية والشعبية، والضيق والمتسع"(١).

أماكن الإقامة الاختيارية :

البيت : وهو مكان مغلق يوحي بمعنيين متناقضين " فتارة يدل هذا المكان على الراحة والطمأنينة لأنه المأوى الذي يلجأ إليه المرء في حال شعوره بالتعب ، وتارة أخرى يعبر المكان عن التعاسة والشقاء إذا لم يجد الإنسان راحة فيه . وفي المنزل يتحرر الإنسان من قيود الحياة الاجتماعية ، ويسكن إلى ذاته ، ويعيش حياته الفردية ويستمتع بها وفق أسلوبه الخاص . كما أن البيت من العوامل المهمة التي تدمج أحلام وأفكار وذكريات الإنسان ، ومن دون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا " (٢) . أي أن البيت يطلق على المكان الذي يتحقق فيه للشخصية معنى الاستقرار والسكن في سلك جماعة متآلفة ، وهو يمثل مظهرا من مظاهر الحياة الداخلية لقاطنيه .

ومن بيوت رواية اللوذعي : دار بني سليمان بمعرة النعمان ، يقول الراوي : " دار بني سليمان بمعرة النعمان مثل سائر بيوت المدينة حيطانها مبنية من الحجر، تقع على قمة أحد التلال الثلاثة التي بنيت عليها بيوت المدينة ، ولا يفوقها في ارتفاعها سوى المسجد الجامع المجاور لها . فقد بني على قمة التل بحيث يصعد

---

(١) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ٤٠ .

(٢) ينظر : جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٢م . ص ٣٨ .

المصلون ثلاث عشرة درجة من الشارع المجاور له حتى يصلوا إليه ، غزارة الأمطار وما ينتج عنها أحالت حجارة الجدران القديمة للبيوت والجامع إلى اللون الطيني المائل للون الأخضر لون الأعشاب الجافة، إذا نظرت إلى الجانب المقابل للباب الرئيسي للمسجد فسوف ترى بوابة دار بني سليمان الكبيرة العالية التي يمكن للجمل المحمل أن يدخل فيها ، واجهتها مقوسة تشبه بوابات الحصون والقلاع ضلفتاها كبيرتان مصنوعتان من السرو المعشق بالحديد، وهما مفتوحتان دائما ، يصعب إغلاقهما بسبب الأتربة والأعشاب التي نمت في أعقابهما ، بوابة تدل على مجد غابر، أعلى البوابة مهدم ، يبدو أنه كان يستخدم للحراسة ، وعلى الرغم من أن المدينة قديما كان لها سور من الحجارة مازالت بقاياه، فإن البيوت الداخلية كانت معدة للحماية أيضا، أهل المدينة يسمون هذه الدار دار القضاء، لأن عائلة بني سليمان أصحاب الدار يتوارثون منصب قضاء المدينة منذ أكثر من مئة سنة"(١).

وجاء وصف الدار في المقطع السابق في إطار هندسي يرسم شكل الدار وتفاصيلها في ذهن المتلقي ، كما أن الراوي بالغ في وصف الدار فجعلها فريدة في ارتفاعها عن سائر بيوت المدينة ، ولا يقاربها في الارتفاع إلا المسجد القريب منها. كما أن الوصف السابق كشف عن دار محصنة تشبه الحصون ، وحضر اللون الأخضر الذي يشبه الطحالب ، وكان ظهور هذا اللون مرتبطا بالأمطار الغزيرة التي حولت الشكل الخارجي للبناء وغيرت لونه الأصلي عبر العقود والسنين ، وهذا يوحي بقدم المكان . كما أن الراوي استخدم ضمير المخاطب في الوصف ، وهذا جعل المتلقي يشعر بالانتساب إلى النص . ويوصف هذا الضمير بأنه ضمير القارئ الذي تروى له القصة ، والهدف من هذا الضمير دفع المتلقي إلى متابعة سير السرد وتأويل النص . " وفي إطار استعمال ضمير الأنت الأقل استعمالا في السرود الروائية ، يلتبس الأنت بالأنا ، ويلتبس بالآخر على حد سواء ، فحين

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٤ .

يخاطب السارد الضمني الشخصية الأبرز في رواية ما جاعلا ذلك سبيلا إلى الإسراف في المكاشفة والبوح يصير صعبا فصل أحدهما عن الآخر ، فالسارد الأنا، القادر على النفاذ إلى أدق الدقائق وأكثرها غموضا واستغلاقا على الكشف في أعماق المخاطب ، لا يمكن أن يكون منعزلا خارج موضوع المكاشفة والبوح ، أي لا يمكن إلا أن يكون قائما بسرد نفسه وأعماقه ، جاعلا ضمير الأنت مجرد مطية ليتخذ البوح منحى أسلوبيا مميزا في عملية السرد " (١) .

وقد عبر سير السرد والأحداث المرتبطة بوصف بيت (آل سليمان) عن القهر والعنف ، يقول الراوي : " والآن تترامى الأنباء الآتية من مصر بأن الحاكم قد زاد جنونه ، فبعد أن أصدر قراراته غير المنطقية بقتل الفقهاء والعلماء حرم أكل الملوخية ومنع خروج النساء ليلا ونهارًا وقتل الساسة المقربين منه لمجرد الشبهة في عدم ولائهم له ، أو لمجرد التلذذ بالعبث بأجسادهم، حتى كاد يغني العلماء والوزراء من مصر ، ولا أدري ما الذي يجعل رجلا عاقلاً ذكيا مثل المغربي يظل عند هذا السفاح ولا يهرب إلى أي مكان آخر، ومن العجيب أن الناس خارج مصر كانوا يهتفون باسم الحاكم في دمشق والموصل ، بل كان بعض جهلاء الشيعة يفعلون ذلك في سوق الكرخ ببغداد عندما يتمردون على الخليفة العباسي ويبتزونه ، يرحم الله سيف الدولة الحمداني فقد كان يعرف خبث هؤلاء الفاطميين وسوء عقيدتهم ، فعلى الرغم من ميل سيف الدولة لآل البيت وتشيعه فإنه أعان القرامطة رغم تشددهم عندما حاربوا الفاطميين، وأمدهم بالسلاح حتى إنه خلع الأبواب الحديدية من الحصون القديمة وصنع بها سيوفا ودروعا لمعاونة القرامطة " (٢) .

فالمقطع السابق يكشف عن العنف الممارس ضد المواطنين ؛ مما جعلهم في حال استسلام ورضوخ للبطش . والهوية الفردية عانت من استغلال المتسلط الذي

---

(١) سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية) ، صلاح صالح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٦٦ – ٦٧ .

(٢) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٠ .

يسلبها إنسانيتها وكيانها وحريتها ، ويلحقها به أداة تخدم رغباته ، دون أن تملك هذه الهوية إرادتها . كما أن هذه الهوية لا تشعر بانتمائها إلى ذاتها نتيجة الظروف القاسية التي تعيشها ؛ فتعجز عن تحقيق ذاتها في محيطها الاجتماعي ، وتشعر أنها أقل من الآخر .

كما عبر صوت المعري عن أزمة المثقف في مجتمع قبيح ، يقول الراوي : " إن زماننا هذا زمان منكود لا يسعد فيه أحد ، سواء أكان حاكما أو محكوما ، الأرزاق قليلة والحروب لا تهدأ ، والنهب والجشع في كل مكان ، زوجة سيف الدولة بنت عمه سعيد بن حمدان وأخت أبي فراس ، كنا نظنها سعيدة أيام العز في بلاط سيف الدولة ، لكن المسكينة كانت شقية ، لم تكن تحب سيف الدولة ، كان يمر عليها الحول لا تكلمه ، ولما مات نالت مرارة الهروب مثل سائر النساء، وأسرة آل سليمان أسرة زوجي رحمه الله كانت لها أوقاف كثيرة لو بقيت لما كانت الأسرة في هذه الحال ، لكن بعدما هجم الفرنجة على المعرة عندما كان أبو العلاء في سن الثالثة عشرة وشتتوا أهلها ، ثم استردها منهم أتابك زنكي ، أعاد أهلها إلى بيوتهم ، لكنه لم يرد الوقف إلى آل سليمان ، فأصبحت الأسرة غنية بالصيت وحسن الذكر فقط ، ولذلك بذل أفراد الأسرة محاولات كثيرة لاسترداد الوقف دون جدوى ، وأخيرًا سافر أبو العلاء إلى بغداد ، لعله يجد عند الشريف الموسوي أو عند أحد من أصحاب السلطة وسيلة لرد الحقوق لأصحابها " [1] .

فالوصف السابق عبر عن قبح الواقع من خلال الحروب والنهب ، كما صور زوجة سيف الدولة وهي سيدة البلاط الأولى في صورة تابعة تدور في فلك المتسلط عليها ولا تستطيع التعبير عن مواقفها أو استقلالها عنه . فهي تعيش في واقع اجتماعي مضطرب تنهار فيه القيم الإنسانية ، ولا تجد هذه المرأة أمامها سوى الانكسار والعجز عن تحقيق الذات والفشل في تحقيق النجاح على مستوى العلاقات

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢١ .

الإنسانية والعمل ؛ فانسحبت هذه المرأة المضطهدة من ميدان الحياة إلى العزلة الفردية ، بعد أن عاشت حالة من الاغتراب النفسي .

ومن عبقرية الكاتب في الدخول إلى العالم الداخلي للمعري ، وهو عالم مظلم ليس فيه أمل في تحقيق الذات : استخدام تقنية الحلم المعبرة عن الخيبة والفشل . يقول الراوي : " لم يتغير في البيت الكبير شيء ، رائحة الأم وآثار ذوقها وصنعتها يملأ كل ركن فيه، حتى حجرته التي اعتاد على كل ذرة فيها مرتبة بالطريقة التي صنعتها هي بيديها ، مفرش السرير دولاب الكتب ، علية الأحذية دولاب الملابس، مشط الشعر ، كل شيء موجود في مكانه إلا هي ، شعر وهو يدخل البيت بحالة من الفقد ، الفقد حالة إنسانية تشبه الجوع والعطش ، يحس الإنسان فيها بأن شيئا ما قد ضاع منه ، لقد شعر بهذه الحالة عند موت أبيه منذ ست سنوات . ولكن لم تكن بهذه الدرجة من الحدة، لم يستطع النوم عدة ليال ، كلما عما تأتيه الكوابيس فيقوم مفزعا ، كل الرؤى والأحلام متشابهة، في مرة يرى أن ملابسه قد سرقت وأنه يسير في الشارع عاريا ، ومرة أخرى رأى أن نقوده ضاعت وهو في بلد غريب لا يعرف فيه أحدا ، ظل عدة أشهر لا يجرؤ على دخول حجرة أمه ، كان كلما اقترب منها كأنه يسمع صوتها ، سعيد استقر في جزء من الطابق الأرضي تحت حجرة أبي العلاء مباشرة، في البداية كان إذا أراد شيئا منه يناديه أو يخبط السقف بقدمه ، فيتنبه سعيد ويأتيه، اهتدى سعيد لطريقة أكثر يسرا . ربط حبلا في جانب النافذة ، إذا حركه أبو العلاء أحدث صوتا في نافذة سعيد ، أول مرة يخترع عقل سعيد شيئا جديدا " [١] .

فالحلم في المقطع الوصفي السابق حضر بدلالاته الرمزية ، وهو يبرز شعور الشخصية بالقلق والخوف من المستقبل ، ومن ثم فقدت الهوية شعورها بالصحة النفسية السليمة ، وهذه الحال تفتقر إلى تفتح إمكانات نزوة الحياة التي

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٧٠ .

تشكل النزوة الكبرى ويقابلها الموت " والأصل في نزوة الحياة النماء وإقامة الروابط الاجتماعية وصولا إلى السيطرة على الكيان وصناعة المصير ؛ فنزوة الحياة تتمثل في تلك الطاقة الحيوية حين يكون الإنسان سيد واقعه وصانع قراره من خلال توظيف الإمكانات الفردية في تحقيق الذات " (١) . وعندما يخفق الإنسان في تحقيق ذاته فإنه يصاب بالاغتراب النفسي فيفقد قيمة وجوده ، ويعيش في يأس واستسلام ، وتعاق صلته بذاته ويصبح غريبا عنها .

كما يدفع الاغتراب النفسي إلى العزلة الذاتية " لأن الإنسان المغترب يفتقر إلى الإحساس بالتوافق والانسجام النفسي فيرفض الاتصال بالآخرين وينكفئ على نفسه ، ويستسلم لفكرة الابتعاد عن الناس ؛ فتصبح عزلة الفرد شكلا من أشكال السجن الذاتي المفضي إلى الجنون . كما أن طريقة تفكير الشخص المصاب بالعزلة تعد عقبة أمام خروج الإنسان منها " (٢) .

وقد تحدث المعري بأسلوب المناجاة الداخلية (٣) عن شعوره بالاغتراب النفسي ، وانقطاعه عن الآخرين بعد إقامته الجبرية التي فرضها على نفسه . يقول الراوي : " لم أكن أعلم من قبل أن الألم يمكن أن يجتمع مع اللذة ، لكن تجربتي التي أمر بها الآن عرفتني أن الإنسان عندما يسمو على شهواته ويقهر جموح غرائزه يشعر بلذة الانتصار على نفسه ، لذة أليمة تشبه لذة القائد الجريح ساعة

---

(١) الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، مصطفى حجازي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٨٤ .

(٢) ينظر : العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٣٩ .

(٣) المناجاة الداخلية أو المونولوج : سرد وجداني يركز وجهة النظر في وعي شخصية واحدة ، ويضيق فيه الوعي إلى حدود الخواطر الشخصية ، وهذا يضع أمامنا ما يجري في ذهن الشخصية . ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، دار لبنان ناشرون ، ٢٠٠٢م ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

النصر على الأعداء، العادة نفسها غريزة إنسانية ، حزن الإنسان على موت الأحبة نوع من كسر العادة التي ألفها الإنسان، نوع من الفطام عن لقاء الأحبة مصحوب بالألم، والصبر على الفراق قهر الغريزة الاعتياد . الالتقاء بالناس ومخالطتهم غريزة لأنه عادة ، واعتزالهم قهر لهذه العادة، كل هذه المعركة التي تدور داخلي تشكل تجربتي الذاتية ، هذه التجربة عندما تتبلور لدي في صورة لغوية فنية ، كان تخرج قصيدة شعرية أو كتابا أو رسالة تصحبها لذة أخرى، تشبه لذة الولادة ، فكلاهما الام مصحوبة بخلق كائنات جديدة، لكن تجربتي هذه المرة تتبلور في شكل جديد لم أعرفه من قبل ، تخرج على لساني في شكل يشبه ما تسفر عنه تجارب المتصوفة في حالات الوجد، أو لحظات التجلى والسمو الروحي ، بم يمكن أن يسمى هذا النوع من الإبداع ؟ هو بالتأكيد ليس شعرًا وإن كان فيه شعر . ليس رسائل لكنه يشبه الرسائل الفنية ، ليس ابتهالات أو دعوات لكنه سبيه بها ، المهم أنه تجربة وسيرة حياة ، ليس سيرة للحياة الظاهرية التي لا أحب أن أعيشها ، وإنما سيرة لحياتي الباطنية ، هل يمكن أن أبوح بها وأمليها لتصبح كتابًا أو رسالة، هي لا تصلح أن تسمى كتابا أو رسالة لأنها ليست متماسكة مترابطة كترابط الكتب والرسائل، بل هي عبارة عن دفقات شعورية وفيوضات تشبه أمواج البحر ، كل دفقة لها نهاية، وكل دفقة تحتوي عددا من الأمواج كل موجة تشبه الفصل في صورة متشابهة كتشابه الآيات أو العظات أو الحكم ، ولكن بم أسميها . هل أسميها " النهايات والفصول " عنوان ليس منتظما ، " الفصول والغايات " هكذا ، هذا هو العنوان اللائق " [1] .

فالمناجاة الداخلية لها دلالاتها النفسية التي تفصح للمتلقي عن العالم المتخيل الذي يعيشه المعري ، وهي تقدم المحتوى النفسي للشخصية ؛ فمن خلالها تتحول حالة الشخصية الشعورية إلى واقع ملموس في هيئة حوار مع الذات ، ليدخل

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٧١ .

المتلقي عبر الكلمات مستشرفا خفايا الحياة الداخلية المتوهجة بالكوامن الذاتية للنفس الإنسانية ، وبذلك ينتج التواصل والانسجام مع العمق الإنساني للتصريح عن أخص الأفكار والمشاعر ، كما أن المونولوج يعرض لأفكار الشخصية وانطباعاتها وتصوراتها [١] .

كما عبر الحديث الداخلي للشخصية عن نزوع فطري نحو التسامي والكمال والمعرفة عن طريق حجب النفس الموجبة للنقص بالمجاهدة بغية الكمال ، وهذا يعد نزعة صوفية سيطرت على الشخصية الروائية نتيجة ميلها إلى العزلة الذاتية . كما أن لغة الحوار الداخلي السابق تعبر عن لغة التصوف الإسلامي العربية وهي لغة لا يملكها أي تصوف آخر من حيث مفرداتها التي تدل على الذوق والجمال ؛ فالتصوف خارج اللغة العربية مجرد عرفان لا تلعب اللغة في تشكيله أو وسمه بطابعها ، وقد امتزجت المصطلحات الصوفية بالبعدين الموسيقي والتخيلي للغة العربية ؛ فظهر تصوف متضمخ بالعربية ، يأخذ منها ويعطيها ، بما يمنح المفردات طاقات من الدلالة والإيحاء والرمز ؛ حتى صار للتصوف معجم من المفردات والإشارات [٢] .

ومن التعبيرات الصوفية في المقطع السابق من الرواية : (في حالات الوجد ، أو لحظات التجلي والسمو الروحي) ، وهذه التعبيرات تحمل دلالة على لحظة من لحظات القرب من الله تعالى ، تشعر فيها الشخصية الروائية بغيابها عما يجري حولها ، حيث غابت تلك الشخصية عن الخلق ، وانشغلت بما ورد عليها من فيوضات ربانية ؛ ومن ثم افتقدت الإحساس بالزمان والمكان ، فلم يعد لها إحساس إلا بخالقها .

---

(١) ينظر : قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد إمام ، دار ميريت ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ١١٥ .

(٢) ينظر : الشكل الروائي والتراث ، محمد حسين أبو الحسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٢م ، ص ١٠٢ .

ومن بيوت الرواية دار القاضي أبي علي المحسن ، وقد وصف الراوي البهو الخارجي للدار، وقد كان حلقة علمية كبرى ، يقول الراوي : " على الشاطئ الغربي لنهر دجلة تقع دار القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي ، بأسوارها العتيقة وأشجارها العالية ، وأبوابها المفتوحة دائما للسائلين وأصحاب الحاجات وطلاب العلم ، أهل بغداد يطلقون عليها دار القضاء ، لأن قضاء بغداد لم يبرح هذه الدار منذ فترة طويلة من الزمن ، فالقاضي أبو على المحسن التنوخي رحمه الله كان قاضي قضاة بغداد حتى وفاته منذ أربعة عشر عاما، ووالده كان قبله قاضيا للقضاة، وابنه أبو القاسم علي بن المحسن هو الآن قاضي القضاة ، سلسلة من القضاة العلماء الشعراء أبا عن جد . في البهو الخارجي المرتفع المواجه للحديقة الجميلة المواجهة لنهر دجلة يجلس القاضي أبو القاسم متربعا على دكة متوسطة الارتفاع ، مفروشة بفروات الصوف ناصعة البياض، حاسر الرأس عن شعر أسود فاحم ممشط لامع ، يرتدي جبة سوداء مطرزة بالحرير المذهب، زادته بهاء ومهابة، على الدكك والكراسي المجاورة له والمواجهة للنهر مجموعة من العلماء والشعراء والأدباء وطلاب العلم " (١) .

فالبهو يظهر في شكل هندسي فخم ، وهو مجهز بمفروشات وكراسي ومقاعد مجهزة للعلماء والشعراء ، كما زاد من جمال المكان : إطلالته المبهجة على حديقة البيت، وهي مطلة على نهر دجلة . وقد كانت مجالس العلم حافلة في دار القاضي، كما شهدت مناقشات علمية وفكرية تعبر عن ثقافة العصر . وقد ذكر الراوي مقطعا حواريا معبرا عن شعور شباب الأمة وقتئذ بالضياع ، يقول الراوي : " مشكلة هذا الجيل أن أكثر الشباب يعيش بلا هدف ، فلو سألت أي شاب اليوم ماذا يريد لما استطاع أن يجيب ، ليس لأنه فقير فما أكثر الأموال في بغداد ، ولكن لأن حاجات الشباب زادت عن قدراتهم ، ومعارفهم أصبحت أعظم من عقولهم ، فقلدوا ولم

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٩ .

يبتكروا، وتمذهبوا ولم يتمنهجوا من ثم تعصب كل شاب للمذهب الذي عليه شيخه دون فكر " [١] .

فالمقطع السابق يعبر عن الشعور بالضياع وفقد روح الإبداع نتيجة التقليد الأعمى ، ولعل الراوي يشير إلى معاناة الأمة من الانقسام والتأخر عن ركب الإنسانية . وأرى أن صوت السارد هنا ليس راوي الحكاية ؛ بل هو المؤلف نفسه . ولعله يضع أمام القارئ – من خلال المقطع السابق – الشعور بالهزيمة الثقافية في عصر العولمة [٢] الجامحة إلى إزالة ومحو الهويات الوطنية واستبدالها بالنموذج الغربي . وفي ظل العولمة ذابت ثقافات وحضارات وقوميات ، والثقافة العربية إحدى الثقافات التي تتعرض لخطر العولمة والذوبان في بوتقتها القميئة ؛ فالعرب – في الوقت الراهن – لم يضيفوا شيئا إلى صناعة الحياة والنظام العالمي الجديد ، والمعلومات والتقنيات والابتكارات والفكر الإنساني . كما أصبحت البلاد العربية سوقا استهلاكية للمنتجات الغربية والشرقية ، وفقد المواطن العربي حقوقه السياسية في مجتمع أمي لا يقرأ ، وثقافة عاجزة عن التعبير عن الهوية العربية .

ومن تأثير العزلة على المعري في نهاية حياته ، يقول الراوي : " اشتقت إلى طلابك وأغلب الظن أنهم اشتاقوا إليك منذ عدة أيام لم تذهب إلى الجامع ، المطر لم يتوقف و البرد لا يتحمله الشيخ الهرم ، حاولت الخروج فلم تحملك قدماك ، رعشة في الأطراف وضيق في التنفس ، عبد الله ابن أخيك أبي المجد الذي أصبح الآن قاضيًا لم يفارقك لحظة ، هو الذي يقوم بخدمتك بنفسه . أعلم أن عبد الله استقبل

---

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٣١ .

(٢) **العولمة:** هي مفهوم حديث يعني التأثر بكل الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تحدث في أي مكان في العالم ، وهذه الظاهرة تقوم على التمسح بحقوق الإنسان وحقوق الفرد ، وتسعى العولمة إلى نشر ثقافة الاستهلاك وتحطيم القيم الدينية والأخلاقية السامية بهدف امتصاص خيرات الشعوب ومقدراتها ، وتزييف وعيها والسيطرة عليها . ينظر: العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، مولود زايد الطبيب ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي، ليبيا، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٧–٢٨.

رسالة أخري مرسلة من داعي الدعاة ، وضعها في جيبه ، لم يشأ أن يزيد عمه هما على ما هو فيه ، ألا لعنة الله على الظالمين . أحضر عبد الله الطبيب ، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ وصفت الحالة بأنها برد وشدة الضعف نتيجة لسوء التغذية، لو أكلت شيئاً من اللحوم وبخاصة الدجاج فسوف يشتد بدنك . جاءوا لك بدجاجة ، هلا وصف لك الطبيب شبل الأسد هل كانوا سيسارعون بالإتيان به ؟ حياة الإنسان مهما طالت سحابة صيف طائشة تمزقها الرياح ولا تتمكن من الوصول إلى ما تريد" (١) .

فالسرد في المقطع السابق جاء من خلال ضمير المخاطب ، وهذه المراوغة من الكاتب في استخدام ضمير المخاطب في موضع ضمير المتكلم تجعل القارئ متفاعلا مع الحالة النفسية للمعري ؛ فضمير المخاطب جعل القارئ مشاركا في هذه المشاعر الإنسانية ، وهي مشاعر تعبر عن التأثر بالعزلة والاغتراب النفسي . كما عمق من إحساس القارئ بأزمة المعري وقلقه النفسي : المرض وضعف الجسم ، وهذا الضعف شبهه المعري بسحابة صيف مزقتها الرياح . وفي ضوء ذلك يكون الكاتب موفقا في اختيار هذه الصياغة اللغوية التي مكنت القارئ من الشعور بأزمة الشخصية الرئيسة في الرواية ، وهذا يؤكد على تمكن الكاتب من أدواته الفنية والسردية .

ومن بيوت الرواية : دار الخلافة ببغداد ، يقول الراوي : " دار الخلافة لم تعد كما كانت في عهد الرشيد أو المأمون أو المعتصم، أصابها ما أصاب سائر بلاد المسلمين من تدهور ، أسوارها الخارجية التي كانت قديما زاهية الألوان أصبحت جرباء كالحة كأنها أسوار المقابر ، بواباتها العالية المزخرفة بالجص والفسيفساء تأكلت مقرنصاتها وتهتمت حوافها ، أرضيات طرقاتها وأعمدتها المرمرية تشققت وعلاها التراب ، أشجار الحدائق تساقطت أوراقها وتشعثت أطراف أغصانها من

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٣١ .

قلة العناية بها ، ماء دجلة غاض حتى ظهرت الجزر في مجرى النهر ، المطر المنهمر منذ عدة أيام لم يزد الحال إلا سوءًا ، تحول التراب إلى وحل ، في نهاية الممر العريض الممتد من البوابة الرئيسة لدار الخلافة يقع مبنى عريق له قبة وأمامه نافورة جافة إلا من بعض المياه العكرة بسبب المطر ، سائر الحدائق الممتدة يمينا وشمالا تشبه الغابات المهجورة ، لا تسمع فيها إلا عواء الثعالب ونعيق الغربان وأصوات بعض الجنود الديلم يصيحون بأوامر عسكرية بلغة غير مفهومة"[١] .

فالوصف السابق للدار يشير إلى تدهور حال الدار ، كما يشير إلى تسلط العنصر الأجنبي وهيمنته داخل قصر الخلافة . كما أن الوصف أظهر قصر الخلافة في شكل يمثل القبح وفساد المكان ، وهذا القبح والفساد انعكس على البعد الهندسي لقصر الخلافة ، وهذا ما تجلى في وصف الراوي للمكان ، ويظهر ذلك من خلال وصف دار الخلافة بأنها لم تعد كما كانت في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل ؛ حيث أصابها ما أصاب سائر بلاد المسلمين من تدهور . وهذا التدهور سببه تسلط طبقة رجال الدولة العباسية من غير العرب ، وقد كان هؤلاء يتحكمون في كل شيء ، والخليفة صورة شكلية للحكم .

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٤٩ .

المبحث الثاني : أماكن الانتقال

أماكن الانتقال هي " أماكن مفتوحة على الخارج فهي أماكن انتقال وحركة ، وتتجلى فيها بوضوح حركة الشخصيات من مكان إقامتها إلى الشوارع والأحياء والمحطات أو أماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"[١]. وتنقسم أماكن الانتقال إلى أماكن انتقال عامة ، وأماكن انتقال خاصة .

أماكن الانتقال العامة :

وهي أماكن ينتقل إليها جميع الناس فهي تمتاز بالعمومية مثل المدن والساحات والجسور والشوارع والحدائق ، وهذه الأماكن تمتاز بالانفتاح والانطلاق والتحرر ، وهي خصبة بالأحداث الاجتماعية والسياسية والأنشطة المختلفة .

وصف مدينة بغداد :

يقول الراوي : " مدينة السلام (بغداد) ليست مثل معرة النعمان أو حلب، بيوت بغداد قصور عتيقة فخمة عالية عليها آثار الزمن وبقايا عز مندثر لها نوافذ من الزجاج وشرفات من الخشب المزخرف المغسول بماء المطر، تتخللها الحدائق الفارهة والشوارع الواسعة ، والمتنزهات المترامية الأطراف ، كل شيء في بغداد يدل على الثراء الفاحش وفي الوقت نفسه على الفقر المدقع ، الناس فيها من كل لون ، ترى العربي الذي يلبس العقال يمتطي ظهر قعود نحيل أعجف ، يسير بجوار فارسي يلبس طيلسانا ويركب بغلة فارهة ، إلى جانب تركي معمم أو ديلمي بتاجه السلطاني المرصع بالجواهر على جواد فاره مسروج بالقطيفة المفضضة ، إلى جانب خراساني بعمامته وحربته الطويلة، هنا امرأة مبرقعة ملتفة في عباءة ترسم تقاطيع جسمها ، وهناك أخرى كاشفة الوجه مزججة العينين، تلمح بين الحين والآخر رجلا حافي القدمين مرقع الثياب يجلس تحت حائط مسجد ، أو يسير في السوق الصاخب المزدحم بالناس والجمال والحمير. مدينة تلتقى فيها جميع الأجناس والأزياء والأموال " [٢] .

---

(١) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية) ، حسن بحراوي ، ص ٤٠ .
(٢) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٢ .

يكشف الوصف السابق عن الكرنفالية ، وهي تطلق على نوع من الاحتفالات الصاخبة التي تمتاز بالخروج على الالتزامات الاجتماعية ، من خلال الموسيقى والرقص والمأكولات الشعبية والأزياء الغريبة الملونة ، وتبرز فيها سلوكيات ساخرة ضد ضوابط المجتمع وترتيبه الطبقي . وهذا الخروج يمثل طبيعة الإنسان التي تكره مظاهر الضبط والحزم . فالكرنفالية نوع من الاحتفالات التي يتساوى في ممارستها المحتفلون جميعا ، كما أنها نوع من التفاعل الحر بين الأفراد ذوي الخلفيات الاجتماعية والثقافية المختلفة .

وكما هو واضح من اللفظ الظاهر للمصطلح أنّ الكرنفالية منبثقة من فكرة الكرنفال والاحتفال ؛ حيث الاحتفال بحرية مؤقتة للحقيقة المسيطرة والنظام القائم ، إنها تتماز بالعزل بين الطبقات والامتيازات والأنماط والمحظورات التراتبية ، ومن ثم تتلاشى الاختلافات بين الأشخاص غير المتجانسين ويجمعهم زمان ومكان واحد؛ فتختفي الفوارق بين الرفيع والوضيع لوقت قصير، وتقترب جميعها من بعضها بعضاً ، ولا يهتم أحد لما قد يحدث له بعدها [١] .

فالكرنفالية اتجاه ثقافي يتجلى فيه ذوبان الفروق الطبقية الاجتماعية والثقافية بين المكونات المجتمعية العليا والدنيا ، ويدفع هذا الاتجاه إلى سواسية المجتمعات المهمشة بالمجتمعات المركزية ، كتساوي جميع المحتفلين في الكرنفالات والاحتفالات التي يختلط فيها عامة الناس بالنبلاء والأغنياء . كما تأخذ الكرنفالية في الرواية عدة مظاهر ، ومن هذه المظاهر : طرح قضايا المجتمعات المهمشة وعلاقتها بالمجتمع المركزي من الطبقات العليا الرسمية والمثقفة ، وعلاقة الطبقات الرسمية والمهمشة بالآخر الأجنبي الذي يدخل في علاقات متشابكة مع الطبقة المركزية المثقفة والطبقات المهمشة من المجتمع . ومن الكرنفالية : ذوبان الفروق الطبقية ، وتنوع الثقافات ، والسخرية من الواقع ، والقيم الأخلاقية السامية .

---

(١) ينظر : دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٢١٤ .

الشارع : طريق في مدينة أو قرية يسلكه النـــاس ، وهـــو فضـــاء مفتـــوح ومحصور في الوقت نفسه ، فهو مفتوح من منفذيه اللذين نأتي ونغـــادر منهمـــا ، وبينهما نتوقف ونتجول ونلتقي بالآخرين . كما أنه يحصرنا وينغلق علينـــا مـــن جانبيه . وتحتل الشوارع في الرواية العربية مكانا بارزا ، وكانـــت لـــه جمالياتـــه المختلفة بوصفه شريانا للحياة في المدن العربية . والشوارع هـــي أمـــاكن انتقـــال ومرور نموذجية فهي التي تشهد حركة الشخصيات ، وتشـــكل مســـرحا لغـــدوها ورواحها عندما تغادر الشخصيات أماكن إقامتها أو عملها [١] .

ومن شوارع بغداد : شارع الرشيد ، يقول الراوي : " في شـــارع الرشـــيد، الذي يخترق المدينة من الشمال الغربي إلى الشرق ، ويتصل بالجسر الذي يعبـــر نهر دجلة إلى الكرخ ، كانت القافلة القادمة من الشام تخترق الزحام ، كانت شمس مارس قد جففت بعض الأمطار التي تساقطت خلال الأسبوع الماضـــي ، ومـــازال بعض الوحل وبقع المياه على جوانب بعض الطرق ، الوقت ظهرًا وأذان الجمعـــة يرتفع من المساجد ، وفي وسط القافلة ناقتان مغبرتان من أثر السفر ، على الأولى يركب شاب في العشرينيات من عمره يرتدي ملابس أهل الشام، مكتنـــز الجســـم متوسط القامة أسمر كبير الرأس كبير الأنف ، وعلى الناقة التي يقطرها خلفه رجل ضرير نحيف الجسم متوسط القامة دميم الوجه مجدور منحني الظهر كأنـــه شـــيخ رغم أنه لم يبلغ الأربعين من عمره يلبس ملابس أقرب إلى زي القضاة " [٢] .

فالوصف السابق لشارع الرشيد يكشف عن حركة التنقل في أرجاء المدينـــة من خلال هذا الشارع المحوري ، وحركة الانتقال حددها الـــراوي مـــن الشـــمال الغربي إلى الشرق ، كما أن الراوي حدد زمن وصول المعري يوم الجمعة . وقـــد قام الراوي بتقديم المعري تقديما مباشرا ، وذلك في عبارة (رجل ضـــرير نحيـــف الجسم متوسط القامة دميم الوجه مجدور منحني الظهر كأنه شيخ رغم أنه لم يبلـــغ الأربعين من عمره يلبس ملابس أقرب إلى زي القضاة) .

---

(١) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء ــ الزمن ــ الشخصية) ، حسن بحراوي ، ص ٧٩ .
(٢) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٣ .

أماكن الانتقال الخاص :

تقتصر هذه الأماكن على فضاءات معينة لا يدخلها إلا بعض الشخصيات ؛ فهي على النقيض من أماكن الانتقال العامة " ومن فضاءات الانتقال الخاصة : فضاء المقاهي والحانات والفنادق ، والمساجد ودور العبادة ، والمدارس والجامعات والمعاهد ، ومقرات العمل ، والمعارض الفنية ، ودور السينما والمسرح ، والمحلات التجارية ، وأماكن العمل الإدارية . وإذا كانت هذه الأماكن غير محظورة على الشخصيات ؛ فإنها تتطلب في بعض الأحيان تصريحا وإذنا بالدخول إليها ، وهي إن كانت أماكن مفتوحة ، فإنها تمتاز بنوع من الخصوصية " (١) .

ومن هذه الأماكن : الخان أو الفندق ، يقول الراوي : " توقفت القافلة في رحبة واسعة على يمين الطريق أمام خان المحمودية ، أشهر خان في مدينة السلام، أكثر القوافل القادمة من حلب ومن دمشق ومن أنطاكية وقنسرين والموصل تنزل في هذا الخان ، لتستريح الجمال والخيول وتتناول علوفتها في المرابض والأحواش الملحقة بالخان ، ويبيت المسافرون في الحجرات العلوية المعدة لإقامة المسافرين يغتسلون في الحمامات الملحقة بالخان، وتوضع الأمتعة في المخازن المعدة لحفظ الأمانات ، كل خان من خانات بغداد عبارة عن سوق كبير للبيع والشراء، السماسرة والتجار المتنقلون يستقبلون التجار القادمين من الآفاق ليشتروا منهم البضائع قبل أن تدخل إلى سوق الكرخ ، الزحام شديد ، انتظار تسجيل أسماء المسافرين وحجز الحجرات وتسليم الأمتعة وربط الجمال والخيول والبغال والحمير، حركة هنا وهناك زعيق وخصام وتزاحم . قبل المغيب شق سعيد طريقه من الداخل بصعوبة . لقد نجحت يا سيدي في حجز حجرة في الخان ، فهيا لأوصلك لتستريح فيها ثم أعود لإنهاء سائر الأمور " (٢) .

---

(١) دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ "دراسة تطبيقية"، رسالة ماجستير للباحثة: سعاد دحماني، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،٢٠٠٨م، ص٨٨ .

(٢) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٢٣ .

فالخان هو مكان للراحة والإقامة المؤقتة مدة السفر ، وهو يظهر في شكل حضاري يشير إلى رقي مدينة بغداد ، وذلك من خلال الإشارة إلى دقة نظام الخان، ونظافة المكان وملحقاته . كما أن حركة رواد الخان تشير إلى البعد الاقتصادي لمدينة بغداد ، وهنا يبرز سوق الكرخ ، ولعل أبرز خاصية للسوق هي تهافت الناس إليه وازدحامهم على ما يعرض فيه من سلع غذائية وبضائع متنوعة ، واكتظاظ السوق وازدحامه يعطي إشارات على حركة البيع والشراء " والسوق هو البوابة الرئيسة التي تكفل أداء هذا الركن المهم في حياة الناس ؛ إذ يعد ملاذا للتبضع بيعا وشراء ، وهو مكان التقاء وحوار اجتماعي بين فئات الناس المتجولين فيه " [1] .

ومن أماكن الانتقال الخاصة : الحلقة العلمية بالحائط الجنوبي للمسجد ، وقد تحدث الراوي عن هذه الحلقة قائلا : " هذه الحلقة تحتمي من الرياح بالحائط الجنوبي للمسجد ، كانت أكثر من غيرها يقظة ، كما لو أن عليها نوبة الحراسة ، رجل حضرمي وآخر فلسطيني من بيت المقدس وتاجر من الموصل وآخر من طرابلس الشام أو من أنطاكية وعدد من الشبان يظهر أنهم من طلاب العلم قدموا من دمشق ، كانت القافلة بعدما انطلقت من حلب متجهة إلى بغداد عبر الموصل ينضم إليها في كل مرحلة أعضاء جدد أو يفارقها آخرون. تعارف بعضهم على بعض تعارف طريق . قال التاجر الموصلي وهو يضع كفه على فمه ليوقف موجة من التثاؤب : بلغني أن العملات قد كثرت في بغداد هذا الشهر، وأن العيارين والشطار يسطون على الناس سرا وجهرا في الشوارع والبيوت ، ويقال إن المساجد والمشاهد المقدسة لم تسلم من أذاهم ، لكن رجال الشرطة قبضوا على كثير منهم فقطعوا أيديهم . الخوف ليس من الشطار ، بل الخوف الحقيقي من أهل بغداد

(١) بناء المكان في رواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج ، نصيرة زوزو ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد ٨ ، ٢٠١٢م ، ص ٣٠ .

أنفسهم ، فقد بلغنا ونحن في دمشق في شهر رجب الماضي أن فتنة قد جرت بين السنة والرافضة " [١] .

فالمقطع السابق يشير إلى انقسام المجتمع في مدينة بغداد ، وحدوث فتنة بين السنة والشيعة ، كما أن الشعور بالأمن صار مفقودا بسبب حركة اللصوص وسطوهم على أموال الناس . فعنف اللصوص يجسد تجريد الإنسان المقهور من وجوده وتحويله إلى شيء لا قيمة له ، كما أن هذا العنف هو طاقة توازي قوتها وشدتها قوة الرغبة في الحياة ؛ فالإنسان يمتلك القدرة على العنف والتدمير لاسيما إذا لم يستطع الخلق والإبداع وإفادة المجتمعات البشرية . فالسيطرة الكاملة على البشر هي جعلهم عاجزين أمام إرادة المخربين التي لا تجد من يردعها عن البطش والعنف . كما أن إذلال المواطنين واستعبادهم من الوسائل المنتجة لغاية الاستبداد في السيطرة على ممتلكات الناس ؛ باعتبار أنه لا توجد قوة تفرض على الفرد أكبر من خضوعه للمعاناة من دون امتلاك القدرة على الدفاع عن النفس [٢] .

وصف دار العلم :

تمثل دار العلم في رواية اللوذعي جامعة علمية مفتوحة ، وتشتمل هذه الدار على مكتبة ضخمة تحتوي على آلاف الكتب . يقول الراوي : " على الجانب الشرقي من نهر دجلة ، بعد أن تعبر الجسر عليك أن تتجه يمينا في شارع سوق السلاح ، وعندما تصل إلى سويقة غالب اتجه يسارًا في شارع ربع الكرخ ، عندئذ سوف تجد دار العلم أمامك ... هكذا وصف قيم خان باب الطاق الطريق السعيد . كان أبو العلاء يسمع وهو في معرة النعمان عن دار العلم ، وكان بينه وبين أبي منصور محمد بن علي بن إسحاق الكاتب خازن الدار مكاتبات ، فهو يعرف أن هذه الدار كانت قصرًا كبيرًا لأحد الأثرياء ، اشتراه الوزير سابور بن أردشير البويهي

---

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١١ .

(٢) ينظر : جوهر الإنسان ، إيريش فروم ، ترجمة : سلام خير بك ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١م ، ص ٩٤ .

– وزير بهاء الدولة – منذ عدة سنوات وطلى جدرانه باللون الأبيض ، وجعله مكتبة عامة ، على شاكلة دار الحكمة العريقة ، وأنفق الوزير على هذه المكتبة أموالا طائلة ووقف عليها عقارات كثيرة ، فأصبحت دار العلم تنافس دور الحكمة في كل من بغداد والموصل والقاهرة ، لأنها أصبحت عامرة بآلاف الكتب النادرة في كل العلوم والفنون ، وذاع صيتها في الآفاق وقصدها الطلاب والعلماء من كل بقاع الدنيا دار العلم ليست مكتبة عادية بل هي مثل سائر دور الحكمة مكتبة وبيت للإقامة المجانية الطلاب العلم والأساتذة ، ومطعم لتقديم الوجبات المجانية الساخنة، وقاعات للمناقشات العلمية والمحاضرات ، وحجرات للوراقين وأخرى للنساخ والمترجمين ، مدينة علمية متكاملة. في دار العلم لم يشعر أبو العلاء بالغربة ، فخازن الدار أصبح صديقا له ، والعاملون في الدار كأنهم إخوته ، والدار تجمع بين النظافة والنظام والذوق وحسن التعامل ، والهدوء ، وكل طلاب العلم يحظون فيها بالرعاية " [١] .

فالوصف السابق للدار يقدم نموذجا متميزا لجامعة علمية توفر للطلاب كل احتياجاتهم من كتب وإقامة مريحة تيسر للطالب كل سبل الراحة التي تفرغه لطلب العلم . كما أن الوصف كشف عن صورة مثالية للدار التي تشبه الجامعات الحديثة التي توفر للطالب كل الإمكانيات اللازمة لنجاحه في حياته الدراسية ، وهذا يعكس تقدم الحضارة الإسلامية في الحقبة العباسية . كما أن الوصف كشف عن سعادة الشخصية الرئيسة في الرواية – المعري – ، وعدم شعورها بالاغتراب في هذا المجتمع العلمي الذي يحظى فيه طلاب العلم بشتى أنواع الرعاية من القائمين على الدار .

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ٣٤ – ٣٥ .

المبحث الثالث : أثر المكان في الشخصية الروائية

الشخصية الروائية عامل بنائي رئيس يميز الفنون السردية عن غيرها من الأجناس الأدبية ؛ فمن خلال الشخصية يجسد الكاتب فكرته ، كما أن الشخصية تسير الأحداث داخل المتن الروائي . وفي ضوء العلاقات الرابطة بين الشخصيات الروائية يستطيع الروائي الإمساك بزمام السرد وتصاعد الأحداث من بداية القصة إلى لحظة التنوير في الرواية . ويستطيع الكاتب أن يرسم شخوصه وينقل أفكارها وما يصدر عنها من أفعال ووظائف اعتمادا على اللغة ومستوياتها المتنوعة سردا ووصفا وحوارا .

وحظيت الشخصية القصصية باهتمام النقاد الذين تنوعت دراساتهم ومناهجهم حول ماهية الشخصية ووظائفها في النص الروائي ؛ فالشخصية تمثل « إحدى المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي لكونها تمثل العنصر الفعال الذي ينجز الأفعال – أو يتقبلها وقوعا – التي تمتد وتترابط في مسار الحكاية ، ومن أجل أن تقوم الشخصية بإملاء اللحظة المركزية المسندة إليها تأليفا ، وتفهم الواقع وتمتلئ بروح الحياة ؛ فيعمل الروائي على بنائها بناءً متميزا محاولا أن يجسد عبرها أكبر قدر ممكن من تجليات الحياة الاجتماعية ، ولذلك يمكن القول إن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالا على المرحلة الاجتماعية والتاريخية التي تعيشها ، وقد تعبر عنها حيث تكشف عن نظرتها الواعية إلى العالم » [١] .

فأهمية الشخصية داخل العمل الروائي تبرز من خلال فاعليتها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى ، ومن خلال ما تنجزه من أفعال وما تدخل فيه من صراعات مع الآخرين . وأما عن دلالة الشخصية على المرحلة الاجتماعية المعاشة ؛ فإن هذه الدلالة كانت في الروايات الكلاسيكية التقليدية ، فهذه الروايات عالجت الشخصيات من خلال عدها انعكاسا للعالم الواقعي فصورت هذه الرواية الشخصية على أنها

---

(١) البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، أحمد مرشد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٣٣ .

ذات وجود خارج النص الروائي . أما الرواية الجديدة فقد قللت من قيمة وقدر الشخصية وحولتها إلى مجرد حرف أو رقم ، وأحيانا تنتزع الرواية من الشخصية اسمها فتقدمها إلى القارئ مبهمة من دون اسم .

وتعرف الشخصية الروائية بأنها " كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية ، والشخصيات يمكن أن تكون مهمة أو أقل أهمية (وفقا لأهميتها في النص) فعالة (حين تخضع للتغيير) مستقرة (حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها) ، أو مضطربة وسطحية (بسيطة لها بعد واحد فحسب ، وسمات قليلة، ويمكن التنبؤ بسلوكها) ، أو عميقة (معقدة ، لها أبعاد عديدة ، قادرة على القيام بسلوك مفاجئ) ويمكن تصنيفها وفقا لأفعالها وأقوالها ومشاعرها ومظهرها .. ووفقا لتطابقها مع أدوار معيارية (الشاطر والشقي ، وقليل الحيلة والأنثى القاتلة، والزوج المخدوع) أو لنماذجها أو لتوافقها مع تطابقات معينة للفعل الوغد) أو لتقمصها أدوار بعض العاملين " [١] .

وهذا التعريف ينص على منح الشخصية القصصية صفات بشرية، لكن ذلك لا يعني كونها شخصية واقعية، بل هي شخصية خيالية لا وجود لها خارج العمل الروائي، ويأتي بها الكاتب لتمثل شريحة اجتماعية أو الواقع الاجتماعي ، بعد أن ترسم داخل النص شخصا له عالم يتحرك فيه ؛ فالشخصية وإن كانت ملتقطة من الواقع فإنها كائن ورقي لا يحيلنا إلى الواقع الفعلي . كما اشتمل التعريف على بعض نماذج الشخصيات الروائية مثل الشخصية المدورة والمسطحة ، والرئيسة والثانوية ، وبعض أدوار الشخصية وأفعالها ووظائفها في الرواية مثل دور الشقي والوغد والساذج والمخدوع والمرأة القاتلة .

ويتجلى أثر المكان في الشخصية من خلال الأدوار التي تلعبها الشخصية داخل المتن الروائي ، وذلك من خلال تشابك علاقات الشخصيات من جهة ، وما

---

(١) المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عابد خزندار ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٢ – ٤٣ .

يظهر على الشخصيات من رؤى فكرية وثقافة مرتبطة بالمكان من جهة أخـــرى . فوظيفة الشخصية تتمثل في الأحداث التي تنجزها الشخصية داخل الرواية ، وهـــذه الأحداث تعمل على تطور الحبكة القصصية . كما أن الشخصية الروائية لا تكتمل ملامح صورتها في ذهن المتلقي إلا مع نهاية أحداث الروايـــة ، أي بعـــد اكتمـــال الأدوار التي تؤديها الشخصية في المتن .

وتتجلى وظيفة الشخصية من خلال عدة محاور ، ومنها الرغبـــة المتعلقـــة بالذات الفاعلة والموضوع . " فالذات الفاعلة هي الشخصية المحورية التي تعطـــي الحركة في القصة ، وهذه الحركة تكون وليـــدة رغبـــة أو احتيـــاج أو خـــوف . والموضوع يمثل الهدف المقصود أو المرغوب فيه، أو مصدر الخوف ، ويكـــون الموضوع ماديا مثل إعادة شيء مفقود أو شخص غائب ، أو معنويا عندما يمثـــل قيمة من القيم مثل تحقيق الذات وتقدير الآخر لها . والذات في علاقة الرغبة إما أن تكون في حال اتصال أو انفصال عن الموضوع ؛ فإن كانت في حال انفصال عن الموضوع فإنها تسعى إلى الاتصال به وتحقيقه ، وإن كانت الذات في حال اتصال بالموضوع فإنها تسعى إلى الانفصال عنه ، فعلاقة الرغبة بين الذات والموضـــوع تمر عبر ملفوظ الحالة الذي يجسد الاتصال أو الانفصال ، كما تمر بعد ذلك عبـــر ملفوظ الإنجاز الذي يجسد تحولا اتصاليا أو انفصاليا " [1] .

ومن علاقة الرغبة : تعلق أم أبي المجد بابنها الأعمى ، يقول الراوي : " منذ أن مات أبو محمد لم تغادر زوجته بنت محمد بن سبيكة المنزل ، ولم تخلع ملابس الحداد ، اعتاد أهل المعرة على أن ينادوها بأم أبي المجد أو بنت سبيكة، كانـــت أم أبي المجد امرأة صالحة مثقفة يضرب بها المثل في الوفاء لزوجها ، ظلت قابعة في المنزل القديم بجوار ابنها الأعمى أبو العلاء أحمد ، تخدمه وترعاه وتقرأ له أحيانا،

---

(١) ينظر : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، حميد لحمداني ، المركز الثقـــافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ٣٤ – ٣٥ .

كان هناك بعض الخدم في المنزل لكنها هي التي كانت تقوم بكل شؤونه لما تعرفه عن حساسيته الشديدة وخجله من أن يطلع عليه أحد أثناء ماكله ومشربه وملبسه، فعلى الرغم من أن أبا العلاء قد تجاوز الآن الخامسة والثلاثين فإن أمه بنت سبيكة ما زالت تطعمه بيدها وتساعده في ارتداء ملابسه ، تزوج أخوه الأكبر أبو المجد ثم أخوه الأصغر أبو الهيثم، وفشلت كل المحاولات في إقناع أبي العلاء بالزواج"[١].

في الوصف السابق يكشف صوت الراوي عن تقديمه المباشر لشخصية أم أبي المجد ، وهذه الطريقة الإخبارية أو المباشرة في تقديم الشخصيات هي الأسلوب الذي يقدم به السارد أو المؤلف الشخصية إلى المتلقي مباشرة من خلال وصف مظهرها الخارجي ، وأحوالها الفكرية والثقافية وانفعالاتها وشعورها الداخلي ، إذ يحدد المؤلف ملامحها منذ البداية – على الأغلب – وبأسلوب الحكاية أو الإخبار وبصيغة الماضي ، إذ تأتي هذه الصيغة لعرض الشخصية التي يتفنن المؤلف في عرضها عبر تدخلاته المستمرة في مجرى وطريقة سير السرد . كما برز وصف الراوي للمرأة من خلال عبارة : (كانت أم أبي المجد امرأة صالحة مثقفة يضرب بها المثل في الوفاء لزوجها ، ظلت قابعة في المنزل القديم بجوار ابنها الأعمى أبو العلاء أحمد ، تخدمه وترعاه وتقرأ له أحيانا) ، وهذا الوصف يكشف عن شخصية إنسانية مثالية لم تتخل عن طفلها الأعمى اليتيم ، وظلت ملازمة له حتى صار رجلا مثقفا وشاعرا .

كما أن الراوي عبر عن عاطفة الأم القوية تجاه ابنها ، يقول الراوي : " منذ أن غادرها ابنها أبو العلاء إلى بغداد منذ شهر ودموعها لا تجف ، كانت علاقتها به مزيجًا من الحب له والشفقة عليه والغضب منه ، ابنها الأكبر أبو المجد يرسل كبرى بناته لتبيت معها وتخدمها ، والخدم يحيطون بها ، كل ذلك لم ينسها أحمد أبا العلاء ، فمنذ أن سافر ، لم تصل رسائله ولم ترد أية أخبار عنه ، لم تسأم من

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٥ – ١٦ .

سؤال ابنيها كلما التقتهما: هل وصلت أخبار عن أبي العلاء ؟ كانت تحملهما مسئولية سفره، وتلومهما: لو كان أبوكما حيا لما كان سمح لأبي العلاء بالسفر"[١] .

إن صوت الراوي في المقطع السابق يجسد صورة أم تتمتع بعاطفة إنسانية قوية تجاه ابنها الأعمى ، وهذه العاطفة تشبه الخيط الرفيع الذي يربط بين الأم وولدها . وعلى الرغم من بر أولاد هذه المرأة بها ؛ إلا أنها رأت فيهم تقصيرا في حق أخيهم ، وحملتهم مغبة سفره مع خادمه إلى بغداد ، في رحلة مجهولة إلى بلد بعيدة ، رأت الأم فيها خطرا على ولدها الأعمى . إن تداخل مشاعر الأم في المقطع السابق من حيث الخوف على ولدها من جهة ، وغضبها من أخويه من جهة أخرى يكشف عن ارتباط الأم بابنها المعري .

كما تتجلى وظيفة الشخصية من خلال التواصل بين الشخصيات ، ويكون التواصل بين المرسل والمرسل إليه ، ويتبادلان من خلال المعلومات ، ويتجلى ذلك من خلال أسلوب الحوار الخارجي المباشر ، وهو من الأدوات الفنية المعينة على رسم الشخصيات الروائية ؛ فهو يظهرها في صورة واضحة أمام المتلقي بعد استماعه لحديث الشخصية مع الآخرين داخل المتن الروائي . " محور التواصل الذي يقوم بين المرسل والمرسل إليه ، وهو الذي يتبادلان عبره بيانات أو معلومات . فالمرسل يحيط المرسل إليه علما بشيء ما . ومثل هذا النموذج الأول يسمح لنا أن نرى بعدا تواصليا في كل أنواع الخطاب ، على اعتبار أن أية ممارسة قولية تنقل معلومات . لكن عند إجراء هذا التبادل فإن المشتركين في التواصل ، أي المرسل والمرسل إليه يعقدون اتفاقا حول القيمة التي يتبادلونها " [٢] .

ويعرف الحوار القصصي بأنه " تمثيل للتبادل الشفاهي ، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته ، سواء أكان موضوعا بين قوسين

---

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٧ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٦٤، أغسطس ١٩٩٢م ، ص ٢٩٢ .

أو غير موضوع . ولتبادل الكلام بين الشخصيات أشكال عديدة كالاتصال والمحادثة والمناظرة والحوار المسرحي" [١]. فالحوار هو تبادل الحديث بين شخصين فأكثر بطريقة منتظمة ولغة سهلة واضحة ؛ حيث يقوم كل طرف باستماع الآخر ثم محاورته في موضوع ما بهدف الوصول إلى الغاية من التحاور والتأكيد على وجهة نظر المتحاورين . كما أن الحوار يعبر عن ثقافة الشخصية ولغتها في حياتها اليومية ، وقد يبدأ الحوار القصصي بعلامة الشرطة (–) أو قال وقلت وقالت، وقد يتخلل الحوار تعليق من الراوي الغائب للتأكيد على قضية أو لتلخيص زمني . وقد يكون الحوار مكالمة هاتفية أو حوارا مسرحيا ، وهو الأكثر شيوعا في الرواية .

ومن حوارات المعري مع خادمه سعيد : " بعد العصر جلس أبو العلاء في حجرة القراءة ، وتهيأ للإملاء ، كعادته في مثل هذا الوقت من النهار ، لم يكن كتابه البغداديون قد وصلوا بعد ، قال لخادمه سعيد الخفاجي اكتب ما أمليه عليك في الغزل .

قال سعيد متعجبا :

– أراك يا سيدي لا تكتب هذه الأيام إلا في الغزل والهيام والشوق !

رفع أبو العلاء رأسه وحركها يمينا وشمالا وقال:

وماذا في ذلك يا سعيد ؟ كل الشعراء ينشدون الشعر في المدح والرثاء والغزل.

لكني لم أعهدك يا سيدي في مثل هذه الحالة من قبل.

وهل كنت تراني طول عمري أندب وأولول ثم رأيتني فجأة أرقص وأزغرد؟

---

(١) معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، ص ٧٩ .

– لا يا سيدي لكني رأيت كل شيء فيك قد تغير هذه الأيام ، أصبحت تعتني بمظهرك وثيابك وتمشيط شعرك ، وهذا شيء جديد ، ثم رأيت رائحة الحب تفوح من حروف شعرك .

وهل تستطيع أنت أن تشم رائحة الحب في الحروف يا سعيد؟

– نعم يا سيدي فإن من لا يشم رائحة الحب في بغداد فلن يشمه بعد ذلك أبدا ...

طرق الباب ثم دخل الشاب أبو بكر أحمد بن عبد المجيد الخطيب البغدادي قال هو يلهث :

– معذرة يا سيدي فقد تأخرت عليك ، القاضي أبو القاسم أرسلني إلى الرصافة في مهمة خاصة ، ثم عدت إليك لتواصل الإملاء.

قال أبو العلاء في لهجة فيها إشفاق :

– لا عليك يا بني ، استرح قليلا حتى تهدأ أنفاسك ثم نواصل القراءة والإملاء " [1] .

إن الحوار السابق يكشف عن تغير في حياة المعري منذ ارتباطه عاطفيا بإحدى فاتنات بغداد ، وهذا التغير برز من خلال ميل المعري إلى اهتمامه بملابسه ومظهره الخارجي ، – هذه الصورة التي رآها لنفسه بعين البصيرة – في عين محبوبته . كما أن سعيد الخادم عبر عن صورة المعري الجديدة من خلال الرائحة الذكية التي فاحت من خلال حروف كلماته ، وهي صورة جميلة ومعبرة عن الشخصية الجديدة للمعري .

(١) رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، ص ١٢٠ – ١٢٢ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد : فقد انتهيت – بفضل الله وتوفيقه – من إعداد هذا البحث ، وقد نتجت عنه نتائج كثيرة ، كان من أهمها وأظهرها ما يلي :

أولا : يرتبط المكان بالشخصية الروائية ؛ فكما نجد اتصالا بين الإنسان والعالم الحقيقي نجد كذلك علاقة بين الشخصية والمكان الروائي ، والشخصية مكون فني ينتمي إلى بيئة مكانية يتحرك فيها ، وينتقل منها وإليها . ويستطيع المكان الروائي أن يعبر عن آلام الشخصيات وآمالها ؛ فالشخصية المقيمة في مكان واسع ليست مثل الشخصية المقيمة في مكان ضيق ، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ، ومن جانب آخر تفسر طبيعة المكان حياة الشخصية التي تقيم في المكان ذاته . كما يمكن للقارئ أن يعرف الحال النفسية للشخصية من خلال تواجدها في المكان الذي يبرز شعور الشخصية المقيمة فيه إقامة اختيارية أو إجبارية .

ثانيا : جاء وصف دار بني سليمان في إطار هندسي يرسم شكل الدار وتفاصيلها في ذهن المتلقي ، كما أن الراوي بالغ في وصف الدار فجعلها فريدة في ارتفاعها عن سائر بيوت المدينة ، ولا يقاربها في الارتفاع إلا المسجد القريب منها . كما أن الوصف السابق كشف عن دار محصنة تشبه الحصون ، وحضر اللون الأخضر الذي يشبه الطحالب ، وكان ظهور هذا اللون مرتبطا بالأمطار الغزيرة التي حولت الشكل الخارجي للبناء وغيرت لونه الأصلي عبر العقود والسنين ، وهذا يوحي بقدم المكان .

ثالثا : عبرت بعض مقاطع الرواية عن الشعور بالضياع وفقد روح الإبداع نتيجة التقليد الأعمى ، ولعل الراوي يشير إلى معاناة الأمة من الانقسام والتأخر عن ركب الإنسانية . وأرى أن صوت السارد في بعض المقاطع ليس راوي الحكاية ؛ بل هو المؤلف نفسه .

رابعا : جاء السرد في بعض مقاطع الرواية من خلال ضمير المخاطب ، وهذه المراوغة من الكاتب في استخدام ضمير المخاطب في موضع ضمير المتكلم تجعل القارئ متفاعلا مع الحالة النفسية للمعري ؛ فضمير المخاطب جعل القارئ مشاركا في هذه المشاعر الإنسانية ، وهي مشاعر تعبر عن التأثر بالعزلة والاغتراب النفسي . كما عمق من إحساس القارئ بأزمة المعري وقلقه النفسي : المرض وضعف الجسم ، وهذا الضعف شبهه المعري بسحابة صيف مزقتها الرياح . وفي ضوء ذلك يكون الكاتب موفقا في اختيار هذه الصياغة اللغوية التي مكنت القارئ من الشعور بأزمة الشخصية الرئيسة في الرواية ، وهذا يؤكد على تمكن الكاتب من أدواته الفنية والسردية .

خامسا : وصف دار العلم يقدم نموذجا متميزا لجامعة علمية توفر للطلاب كل احتياجاتهم من كتب وإقامة مريحة تيسر للطالب كل سبل الراحة التي تفرغه لطلب العلم . كما أن الوصف كشف عن صورة مثالية للدار التي تشبه الجامعات الحديثة التي توفر للطالب كل الإمكانيات اللازمة لنجاحه في حياته الدراسية ، وهذا يعكس تقدم الحضارة الإسلامية في الحقبة العباسية . كما أن الوصف كشف عن سعادة الشخصية الرئيسة في الرواية – المعري – ، وعدم شعورها بالاغتراب في هذا المجتمع العلمي الذي يحظى فيه طلاب العلم بشتى أنواع الرعاية من القائمين على الدار .

سادسا : يتجلى أثر المكان في الشخصية من خلال الأدوار التي تلعبها الشخصية داخل المتن الروائي ، وذلك من خلال تشابك علاقات الشخصيات من جهة ، وما يظهر على الشخصيات من رؤى فكرية وثقافة مرتبطة بالمكان من جهة أخرى . فوظيفة الشخصية تتمثل في الأحداث التي تنجزها الشخصية داخل الرواية، وهذه الأحداث تعمل على تطور الحبكة القصصية . كما أن الشخصية الروائية لا تكتمل ملامح صورتها في ذهن المتلقي إلا مع نهاية أحداث الرواية ، أي بعد اكتمال الأدوار التي تؤديها الشخصية في المتن .

مصادر البحث ومراجعه

- رواية اللوذعي ، عبد الرحيم الكردي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٩م .
- أهم مكونات الفضاء المكاني في الخطاب الروائي العربي المعاصر ، محمد عبدالرحمن يونس ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، العدد ٥٣٨ ، شباط ٢٠١٦م .
- الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، مصطفى حجازي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٦٤ ، أغسطس ١٩٩٢م .
- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠م .
- بناء المكان في رواية طوق الياسمين لواسيني الأعرج ، نصيرة زوزو ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد ٨ ، ٢٠١٢م .
- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ١٩٩١م .
- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، أحمد مرشد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٢م .
- جوهر الإنسان ، إيريش فروم ، ترجمة : سلام خير بك ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١١م .

- دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ " دراسة تطبيقية " ، رسالة ماجستير للباحثة : سعاد دحماني ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ٢٠٠٨م .
- دليل الناقد الأدبي ، ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢م .
- رؤية المكان في روايات يوسف السباعي (دراسة فنية تطبيقية) ، أطروحة ماجستير ، للباحث : رضا السيد العشماوي محمد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، جمهورية مصر العربية ، ٢٠١٠م .
- سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية) ، صلاح صالح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- الشكل الروائي والتراث ، محمد حسين أبو الحسن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٢م .
- العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي ، مولود زايد الطبيب ، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- قاموس السرديات ، جيرالد برنس ، ترجمة : السيد إمام ، دار ميريت ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عابد خزندار ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني ، دار لبنان ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣٠٠
٢-	Abstract	١٣٠١
٣-	المقدمة	١٣٠٢
٤-	التمهيد	١٣٠٤
٥-	أولا : مدخل إلى المكان الروائي :	١٣٠٤
٦-	ثانيا : عبد الرحيم الكردي في سطور :	١٣٠٦
٧-	المبحث الأول : أماكن الإقامة	١٣٠٨
٨-	المبحث الثاني : أماكن الانتقال	١٣٢٠
٩-	المبحث الثالث : أثر المكان في الشخصية الروائية	١٣٢٧
١٠-	الخاتمة	١٣٣٤
١١-	مصادر البحث ومراجعه	١٣٣٦
١٢-	فهرس الموضوعات	١٣٣٨

تم بحمد الله